

عبدالرحمن جمال

قطع غيار

مجموعة قصصية

عبدالرحمن جمال

قطع غيار

دار الوراق للنشر الإلكتروني



www.daralwaraq.com

توقف قلبي للحظات حتى
استطاعوا إنعاشه مرة
أخرى، لكنه عاد إلى الحياة
منهكا مستهلكا مشويا -
إن جاز التعبير - بهذا التيار
الكاسح، و هو الأمر الذي
وضعتني على بداية
الطريق الذي ينتهي
بغرفة زرع القلب؛
فالعضلة لم تعد كفؤة أن
تقوم سوى بثلاث ما كانت
تقوم به، أما الثلثان
فالأدوية تساعدنا فيهما،
و هي مساعدة ليست
بالضخمة، لكنها تؤجل
العملية إلى وقت نجد فيه
قلبا يحل محل قلبي.



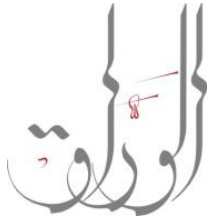
قطع غيار

مجموعة قصصية

عبدالرحمن جمال

الإصدار الأول

2012



قطع غيار (مجموعة قصصية)

عبدالرحمن جمال

الإصدار الأول

سنة النشر: 2012

رقم الإيداع: 2012/2/2104

دار الوراق للنشر الإلكتروني

www.daralwarraq.com

المراجعة و الضبط اللغوي:

أحمد ثروت

أحمد المغازي

محمد عطية

تصميم الغلاف و الإخراج الفني:

عبدالرحمن جمال

جميع حقوق النشر محفوظة للدار، و لا
يجوز إعادة نشر هذا العمل أو أي جزء
منه دون الرجوع للدار، و يعرض
المخالف نفسه للوقوع تحت طائلة
القانون.

الآراء المنشورة بالكتاب لا تعبر
بالضرورة عن رأي الدار.

قبل أن تقرأ

من الأمور الصعبة على أي إنسان أن يقدم نفسه للناس؛ فهو غالباً سيحمّل و ينمق ما لديه حتى يبدو مقبولاً في عيون الآخرين، و هو الأمر الذي قد يضطره في بعض الأحيان، أو ربما كثيرها، أن يتغاضى عن أشياء كثيرة، و تفاصيل عديدة، قد تؤدي في النهاية إلى شعوره بأنه يكذب. و لربما كان قائل "أنا لا أكذب و لكني أتحمّل" قد شعر بالشعور ذاته، لكنه حاول الهرب منه بما قال.

بشكل أو بآخر فهذا هو ما أراه في موقفني هذا .. ما بين شعوري بأنني يجب أن "أفتح شهية القارئ حتى يكمل القراءة" و شعوري المضاد بأنني يجب أن "أكون صادقاً في تقييمي لنفسي" - رغم صعوبته .. ما بين هذين أحاول أن أقدم لك هذه المجموعة القصصية، التي نشرتُ أغلب محتواها بشكل متقطع على الإنترنت، و هو المحتوى الذي لاقى قبولاً و صدى طيباً في حينه، و أتمنى أن يلقي الترحاب نفسه منك؛ عزيزي القارئ.

لكنني رغم هذا لا أقول إنك ستقرأ درة من درر الأدب العربي، بل هي مجرد محاولات، و أحسب أغلبها محاولات ليست على هذا القدر من الجودة بما يكفي لنشرها في كتاب، و بما يكفي لتستقطع جزءاً من وقتك لتقرأها، لكنها على أية حال تستحق فرصة، علّها في النهاية تثبت خطأ نظرتني، و تثبت أنها تستحق هذه الفرصة، و هذا الوقت الذي ستقضيه في قراءتها.

على أية حال، و أياً ما كان رأيي، فإنني أتمنى لك قراءة ممتعة ..

عبدالرحمن جمال

الإسكندرية، 22 فبراير 2012

الراعي و الحورية¹

كان يتعجب لم أصبح فجأة - كلما
ذهب لمعد الأولب في أعالي الجبل -
يشعر كأن الريح و الشجر و الماء و
الأمطار و الحجارة تخاطبه .. يشعر كأن
الكون كله صار شيئاً مختلفاً عما عهدته
لثلاث و عشرين سنة أمضاها فيه، لكنه
بدأ يتناسى هذا الشعور عندما داهمه
شعور أعظم ..

¹ هذه القصة تنويعة علي أسطورة صناعة الإله الإغريقي "بان" الراعي لألة الفلوت

كان كلما صعد إلى الأولمب بيتغي المشورة من الآلهة، إذا بها و كأن الحياة تدب في تماثيلها، و إذا بها تخاطبه وجهاً لوجه .. لم يكونوا يخاطبونه باسمه ديسيونيسيوس، بل كانوا يخاطبونه باسم لم يعهده .. بان ..

صارت زيارته للجبل لا لكي يطلب المشورة فيما يفعله فيه أقرانه في العمل أو أهله في المنزل، بل كي يعرف سر هذه الأحاديث التي لا يمكن أن تكون مجرد هلاوس .. هو يشعر بها .. يتناقش و يعلو صوته و صوت محادثه في شجارات لا يعرف حتى كيف تواتيه القدرة على الخوض فيها .. لكنه فشل .. فشل و لم يستطع أن يعرف لم، و حتى عندما سأل الآلهة جاءت إجابتهم غامضة ..

"لأنه من رحم الحقيقة يخرج رجالها .. و من رحم الأمهات البيض يخرج الآلهة" .. لم يفهم ماذا يعني هذا، لكنه ذهب لمن

يعرف أنه حتمًا يعرف .. هؤلاء العرافون أصحاب الاتصال
المباشر بأبالسة "هيدز" .. هؤلاء العرافون أصحاب الاتصال
المباشر بالآلهة حتمًا يعرفون ..

ذهب إليه - العراف - في معبده الذي ذاعت و فافت شهرته
جبل الأولم ذاته في دلفي، و هناك ازداد حيرة ..

- فماذا قلت إنهم يقولون ؟

- يتحدثون معي عن الرعي .. عن أغنام الأولم المقدسة التي لا
تجد راعٍ لها .. يتحدثون عن الرعاة الذين لا يجدون حامياً لهم ..
يتحدثون عن رجل خرج من رحم الحقيقة و من رحم أم بيضاء
يكون منه إله .. يتحدثون عن مكان في الأولم لرجل من الطين
يشغله ..

- إذا فاسمح لي صاحب القداسة ..

و إذا بالعراف ينحني مبجلاً متابعاً:

- إن عودتك إلى الأولمب قد حانت، فأنت من الآن بان .. إله
الرعي و حامى الرعاة ..

لم يفهم .. لكنه يعرف على الأقل أن الأمر كله الآن في
الأولمب ..

هناك تحدث إلى زيوس .. تحدث إلى هيرا .. و لما كان عراف
دلفي قد أخبره بجزء من الحقيقة و هيأه لها، استطاع استيعاب
الأمر كما كان .. و هناك عرف حقيقته التي لم يعرفها منذ
ثلاث و عشرين سنة ..

- أنت ابن فولكان حداد الأولمب من ديمترانا حورية قبرص ..
قَدَفْتُ بك في البحر و أنت على وشك الفطام إذ أوشكتُ هي
على الموت .. غارسيكاس حارس هيدرز كان يطاردها كالجنون،

و لو لم يقتله أبوك لما نجت أبداً .. لم يجداك .. قذفتُ بك إلى عائلة من كريت كي لا تموت، لكن القدر لا يعرف تخطيطي بقدر ما ينصت إلى تخطيط آلهة القدر، و هكذا ذهبت إلى سفح الأولمب قريباً مني، و ها أنتذا معنا من جديد .. يا بان ..

لم يستطع التصديق لأول وهلة، لكنه شيئاً فشيئاً بدأ يتقبل حقيقته، و بدأ يتحول من ديسيونييسيوس الراعي الفقير إلى بان إله الرعي و حامي الرعاة ..

و تمضي الأيام ..

و يستمر بان في رعاية الأغنام المقدسة للأولمب في سهول اليونان، متغنياً بشعر تعلمه وقت كان بشراً، حتى كان يوم مرت من أمامه هذه الحورية ..

حورية من حوريات الإغريق ضلت طريقها ما بين أثينا و إسبرطة.. كانت تسير الهويني مبهورة بالأرض غير عالمة أنها تصل إلى حيث قررت آلهة القدر .. إلى حيث بان الذي ليس له أن يظل فرداً بعد الآن ..

كانت كاليستماستي .. بهرت بان، لكنها فرت سريعاً من وجهه رغم أنها تطلب المساعدة لتصل لإسبرطة حيث تقابل أختها التي تزوجت هناك .. لم تكن قد خرجت من خدرها من قبل، و لم تكن تعرف أكثر من أنها تسكن جبال أثينا، و أن أختها التي اشتاقت إليها تسكن مع زوجها المحارب في إسبرطة، لكنها لا تعرف كيف المجيء و كيف الذهاب ..

بهرت بان لكنه عجز عن التحدث إليها .. لم يستطع الاقتراب منها في هروبها المدعور منه، لكنه لم ييأس .. لم يكن يعرف أنها تائهة، لكنه استشعر هذا من نظراتها و حركاتها .. و إن هي إلا

دقائق حتى اختفت من أمامه و قد حملها هرمنز إلى وطنها مرة
أخرى و قد استنجدت به أمها أن يبحث عنها ..

ظل يفكر فيها و في حسنها الأخاذ .. كان يفكر و هو ينظر
للأنعام المقدسة عابثاً بعود من الخيزران ..

و كأنما واتاه الإلهام على حين غرة، فأمسك بسكين و شرع
يقطع العود الفارغ أطوالاً متزايدة ثم ربطهم في صف بترتيب
أطوالهم ..

نظر إليها في دهشة؛ فهو حقاً لا يدري كيف كان ما كان، و
كيف صنع ما صنع، لكنه كان ينظر إلى ما صنع و رغبة عارمة
تتملكه كي ينفخ في تلك الأعواد بترتيب محدد، و إذا بأنعام
تسحر الأبواب تخرج منها .. كان نغمًا واحدًا كافيًا ليسحر

الطيور و الأغنام و الشجر و حتى الحجر .. الكل سكن .. الكل
يصغي إليه .. الكل بلا استثناء ..

نظر في السماء فإذا لمعان النار و صوت مطرقة تمهبط بقوة على
حديد ساخن يدوي، فأدرك أن أباه هو الذي ألقى في روعه تلك
الآلة .. هذا الحداد الفظ رغم كل شيء يمتلك حساً رقيقاً ..

سأل هرمز الذي يجوب الأراضين عن هذه الحورية .. أخبره أين
هي و كيف هي، و ما أن انبلج فجر جديد حتي كان عندها
بأنغامه الساحرة ..

لم تسطع واحدة من حوريات هذا الجبل ألا تنصت .. كان النغم
أقوى منهن جميعاً، و من بينهن كانت هي .. كاليستماستي
الحسنة ..

توقف، ثم وقف أمامها متضرعاً:

- كاليستماستي .. يا من سحرتيني و حرّكتي فيّ قوة الخلق
اللامتناهية فأخرجت هذه الآلة إلى الوجود أشدو بها وجددي و
صبابتي .. كاليستماستي .. يا من خلّب جمالك لي حتى لم أعد
أفكر إلا فيك .. كاليستماستي .. يا من أرضى أن أقضي بقية
عمري جوارك .. هي كلمة لا أرغب إلا فيها .. أتأتين معي إلى
الأولمب ؟ .. هل تقبلين أن تكوني معي الزوج و الحبيب، لأكون
لك كل شيء ؟ .. نظرة من عينيك و كلمة من شفّتك تطفئ
وجددي و صبابتي .. كاليستماستي !

و بجيأ الحوريات توارت، لكنها أجابت لحظتها بصمتها كأنما
تصرخ .. نعم !

الطاحونة

كان هذا منذ زمن مضى .. مضى و مضت دونه أزمان
عديدة، وقت كان الناس يستعملون طواحين الهواء من
أجل طحن قمحهم و شعيرهم .. لكن تلك الطاحونة لم
تكن عادية ..

هناك أولاً هذا الصرير الغريب الذي يصدر عنها كلما
سكنت و يزول إذا تحركت، و كأن الأمر بالمقلوب ..
هناك ذلك الدقيق الزائد الذي يأتي من لا مكان معبأ في
أجولة .. و هناك تلكم الرسالة علي جدرانها، التي تزيد
كلمة كل يوم، و جيلاً بعد جيل لم تنته الرسالة بعد ..

لكن الحكاية لم تبدأ مع القمح .. إنها العظام الغضة التي يوماً ما وقعت فريسة العناد والجبروت .. و ياله من مصير !

بليل كأنه فحم حجري توارت وراء الأعشاب .. انتظرت حبيبها الذي قررت و إياه أن يتخطيا كل الحواجز و يتزوجا .. طحان هو، و لهذا لم يقبل أبوها أن تتزوجه، رغم أن أباه كان جامع مخلفات، لكنه المال ..

قابلته بليل .. هربا سوياً، لكن القدر في النهاية قدر .. لا مفر منه و لا منجى ..

كأنه يعرف، استيقظ أبوها ليطمئن عليها .. لم يجدها .. هبط من فوره وأطلق كلابه في المدينة تجوبها يبحثون عنها، يتوعدها، إن لم تكن قد خطفت، بالشوي حية على نار هادئة ..

وجدها ..

كان لا بد واجدها، و قد أطلق جيشاً يبحث عنها .. قالت
لحبيبها فلنختبيء، و لكن أين ؟ .. قال تعالي إلى الطاحونة
البيضاء، فإني أشعر فيها بالأمان .. لكن أبعد ما كان عنهم في
تلك اللحظة الموحشة هو الأمان ..

دخلا .. تشممتها الكلاب و وصل أبوها .. صرخ كأنه ينادي
الأموات من قبورهم أن اخرجوا و إلا أهلككما بالطاحونة ..

لم تتوقع أن يكون أبوها بهذه القسوة .. قالت لحبيبها إنه لن
يفعل، فهو في النهاية أبي و لن يقتلني .. و إن هي إلا لحظات لم
يجيأه فيها حتى أدار الطاحونة بهذا الثور الفتيّ القوي المتين،
المربوط إليها يديرها مع سكون الريح ..

و دارت الطاحونة ..

ضمها إليه .. قالت أن يموتا الآن و قد تأكدت أن أباهما بلا قلب
خير لها ألف ألف مرة أن تعود .. ارتمت في أحضانه بقوة .. و
استسلما لمصيرهما المنكوب ..

و لا يزال الطحان و حبيته في الطاحونة ..

صارت ملتقاهم بعد أن ضاقت بهم الأرض و قلب أبيها .. يوماً
بعد يوم ييئها أشواقه في رسالة أبدية يكتب منها كل يوم كلمة
على جدران الطاحونة، معترفاً بالفضل لصاحب الطاحونة بتلك
الأجولة من الدقيق، أن كانت طاحونته ملتقاهم بلا إزعاج،
متمنياً - رغم كل شيء - ألا تنتهي الأيام ..

الساثرون نياها²

هو يدرك تماماً أن السيارة ليست ملكه، و ليست بكل تأكيد ملكاً لحارس المكان الذي أعطاه مفتاحها، لكنه لم يعد يبالي بهذه الشكليات .. عندما يحدثه أحدهم عن "الملكية الخاصة" ينظر إليه شذراً يكاد يأكله بعينه .. حياته كلها ليس فيها شيء ملكه إلا ما يأكله و يشربه، و حتى هذان تأخذ الدولة نصيبها عند دخولهما و عند خروجهما ..

² الاسم مقتبس من رائعة الأديب سعد مكاوي التي تحمل العنوان ذاته.

جلس كأنما تلك السيارة من مال أبيه، و تمدد حتى تشنجت عضلات ساقيه ثم وضع ذلك الشريط "الحامض"، كما يجب أن يسميه، في مشغل الأشرطة و ضغط زر التشغيل بينما أرخى رأسه للوراء و أسدل جفنيه كأنما هو في سنة من النوم أو نعاس خفيف يغشاه ..

الشريط حامض لأنها المرة الألف تقريباً التي يستمع فيها إليه .. الأمر لا يتعلق بالمحتوى بقدر ما يتعلق بالنسخة .. لقد بدأ في التلف حتى كاد الصوت الصادر منه يصبح صفيراً فحسب، و هو بالطبع لا يمتلك رفاهية شراء شريط جديد .. ما يدخل جيبه يخرج قبل الدخول أصلاً، فإذا استقر في جيبه فهو استقرار "ترانزيت" لا يدوم طويلاً ..

من كثرة ما سمع هذا الشريط صار يحفظ التوقيت الذي فسد فيه الشريط الممغنط، فيتلافى لا شعورياً هذا الصوت بصمم إرادي

أصبح يتقنه، لكثرة ما استعمله مع هذا الشريط، و لكثرة ما استعمله مع كثيرين على مدار السنين الثلاثين الماضية .. صمم إرادي يعزله عن العالم بأسره، و يضعه في عالمه الخاص، الذي لا مكان فيه للمشاكل أو الهموم .. إنه البديل الذي اخترعه لنفسه عوضاً عن الحشيش الذي لم يعد يستطيع الحصول عليه .. "الكفرة وولاد الكلب" يرفعون السعر كلما زادت الوزارة من قبضتها الأمنية .. يشترون أمنهم من جيبه المثقوب ..

لم يكن يستمع للصوت المنساب من السماعات باهتمام حقيقي، فكل الهجر و الشوق و الفراق و غدر الزمان و الأصدقاء لم يعد يمثل إليه سوى ضوضاء متجانسة متناغمة تغطي على الضوضاء المزعجة التي يمتلأ بها العالم من حوله .. مجرد ضوضاء متجانسة متناغمة، بعد أن كانت تعبر حقاً عما بداخله، لكن هذا كان فيما مضى .. فيما مضى و مضت دونه أعوام كثيرة، عندما كان لا يزال يحمل في قلبه شيئاً من الأمل في الحياة، الذي جعله يتوهم

أنه يستطيع الخروج مما هو فيه، و هو الوهم الذي أقعده عن كل عمل حقيقي كان يمكن بالفعل أن يخرج منه مما هو فيه ..

ذكره الأمل في الحياة بأيام الحرب .. كانت أياماً عصيبة شنيعة قاتلة، لكن الموت الذي كان يملؤها كان يملؤه بالحياة حتى التخممة.. كان يتمنى الموت كل لحظة .. يتمناه بصدق حقيقي واقعي لا لبس فيها ولا اشتباه .. طوال السنوات الأربع التي قضاها قبل ساعة الصفر كان يتمنى من كل قلبه لو "ينطخوا في نافوخهم" و يعلن السادات أو ديّان الحرب فيحصل على مراده الذي انتظره طويلاً ..

لم يكن الأمر شجاعة حقيقية بقدر ما كان رغبة في تغيير الوضع الراهن .. لم يكن لحظتها كما هو الآن، عضواً ممتازاً في نادي العاطلين، و لم يكن قلبه عجوزاً كما هو اليوم، و لم يكن مبلى الفكر محطم العقل كما هو اليوم حتى يتمنى الموت بهذه الضراوة،

بل كان كتلة من الحيوية، التي جعلت منه صعلوكًا بامتياز، و
عريبدًا ألحق بعائلته الفضيحة تلو الأخرى .. كان يتمنى الشهادة
كي يتغير كل هذا في لحظة واحدة .. حل سحري يزيل آثام
الماضي و يضعه في مصاف الأبطال، و لربما أطلقوا اسمه على
شارعه الذي يسكن فيه، فتتبدل سيرته من حال إلى حال ..

التمع في ذهنه خاطر أحس أنه يفسر كل ما كان و كل ما هو
كائن .. إنه الحل السحري .. لقد أفنى سنين عمره الثلاثة و
الثلاثين بحثًا عن حل سحري يُخرجه مما هو فيه .. عندما كان
صغيرًا كان يبحث عن مخرج أو منتج يكتشف موهبته السينمائية
المدفونة وسط أكوام القمامة و الذباب كي يخرج للنور و الشهرة
و المجد، و عندما التحق بالجيش في ريعان الصبا - قسرًا لا هوىً
- أخذ يحلم بالشهادة كي يتحول من صعلوك لا قيمة له و لا
أهمية إلى بطل مغوار مات في سبيل الوطن، و عندما صار إلى ما
صار إليه هذه اللحظة أخذ يبحث عن فرصة تهبط فيها الأموال

من السماء مدراراً بلا حساب أو رقيب، حتى و إن كان السبيل
إلى هذا هو الضياع ذاته ..

و عندما وصل إلى هذا الخاطر اقتنع تماماً بما كان يفكر فيه منذ
زمن، و هو أنه قليل الحظ إلى درجة الفقر المدقع .. حتى الموت
فشل في الحصول عليه !

كان في لحظات "السلطنة" تحت تأثير الحشيش يُخيل له أنه لم
يشارك في الحرب قط و أن كل ما كان لم يكن سوى وهم ..
كان مندفعاً بصورة جنونية في أرض المعركة، مطلقاً العنان
لسلاحه الرشاش كأنما الذخيرة لا نهائية، و كان يحصدهم
بالعشرات .. كلما حمي الوطيس كان هو في قلب هذا الوطيس،
حتى أطلق عليه زملاؤه "قلب الأسد" لشدة ما كان يفعل، و لم
يكن يفعل ما يفعل إلا طلباً للموت الذي رآه حلاً لما هو فيه من
ضياع و تصعلك، و ربما حلاً لفقر أهله المزمّن الذي صار كالماء

و الهواء .. أسر زملائه الشهداء تلقوا مكافآت أعانتهم و أقامت
ظهرهم بين الناس .. لكنه رغم كل هذا فشل !

ملاً صدره بالهواء ثم فتح عينه مع صفير الترع الأخير لوجه
الشريط الأول. في ملل واضح خرج من السيارة و أغلقها معيداً
المفتاح للحارس و معيداً الشريط إلى جيبه، شاعراً بحالة من انعدام
الوزن .. للمرة الأولى يأخذه تفكيره إلى تلك المناطق البعيدة ..
إلى الموت و الحياة و الهدف وراء هذه الحياة، و للمرة الأولى
يدرك أنه يحيا بلا هدف .. بلا هدف على الإطلاق ..

خرج من حيث كان و أخذ يمشي و هو يعيد التفكير في تلك
الخواطر التي لا يدري من أين أتته هذه المرة، لكنه يعلم علم
اليقين أنها حقيقية كالشارع الطويل الممتد أمامه بلا نهاية ..
حقيقية لكنه لا يملك تجاهها سوى الهروب لأرض الخيال ..

نظر إلى الأفق البعيد بشيء من التوجس و الخوف، و عقد كفيه
خلف ظهره، و انطلق - كما هي حياته - على غير هدى ..



for accessories

لأنك تستحقين الأفضل !

fb.com/AlSamraaa

عزيزي

عزيزي

تحية طيبة و بعد،

في أغلب الأحوال لا أجد سواك يسمعي دون
أن تفيض روحه اكتئاباً و معاناة، على الرغم من
أنك تتضجر أحياناً .. حقيقة أرى هذا من
حقك؛ فما أرويه يثير الضجر بالفعل، و لكن
ماذا عساي أن أفعل؟!!

اليوم أنا مدعو إلى حفل زفاف أحد أصدقائي .. ما ترتيبه ؟ أظنه
العاشر .. عاشر عشرة أهنته بزفافه و أصل ليلي بنهاري من أجل
حضور الحفل، ثم أعود وحيداً لذات المتزل الفارغ الكبير المترهل
من حوالي .. عاشر عشرة، أشهد على زفافه - لأنني أعز
أصدقائه - مودعاً إياه القفص بيدي .. عاشر عشرة، و أنا ؟
لست أظني الحادي عشر ..

نعم يا صديقي العزيز .. هذا ما أكتب من أجله .. لن أحدثك
عن قطار العمر الذي يكاد يصل وجهته و لما يحمل راكبه الثاني
بعد، و لن أحدثك عن شعور الوحدة الممض الذي أورثني شيئاً
من انطواء مصاصي الدماء و المستدئين .. لا، ليس هذا و لا
ذاك، بل إن جُلّ ما سأكتب ليس سوى تحليل .. إنني أريد بحق
أن أضع يدي على السبب، رغم أني أعرفه ..

أعرفه، لكنني لا أضع يدي عليه، كالذي يرى الجرح ظاهرًا
واضحًا، لكنه لا يمد يده بالدواء أو التضميد، كأنه يتلذذ بالألم..
هل أنا كذلك؟

أحد أولئك العشرة أخبرني بذلك صراحة في مرة من المرات،
بينما كنا نتناقش سويًا عن سبب عدم لحاقي به .. قال إن بي لحة
ماسوشية لا مرء فيها .. يقول إنني أصلح، لكنني لست أدري
لماذا لا أرى في نفسي ذلك؟

في لحظة من لحظات التأمل - و أولئك كُثر - حاولت تبرير هذا
السلوك .. كل منا يحاول أن يصل إلى الاستقرار، تمامًا كالذرات
التي تقاتل كي تدخل في تفاعل كيميائي تصل فيه إلى مرحلة
الاستقرار الكيميائي، فلا تفقد طاقة و لا تستقبل .. نحن أيضًا
كذلك، نحاول الوصول إلى تلك المرحلة، لكن كفاحنا أشد و
أقسى بلا شك .. و نرى أنه من أجل خطوة كهذه فإننا يجب أن

نستكمل ما ينقصنا .. تلك الأشياء الصغيرة التي نشعر بدونها أننا
الأضعف على الإطلاق .. من أجل الاستقرار نحاول الوصول
لحالة من الاكتمال ..

أنا أيضًا أقاتل ككافة البشر من أجل ذا، لكنني أرى أن بي
نواقص عدة .. فوهات كتلك التي تصنعها النيازك إذ ترتطم
بالكواكب لا فجوات و ثغرات صغيرة .. أو ربما هي مبالغة مني
في تلك الصورة التي أرسمها لحالة الاكتمال التي أنشدها .. مبالغة
تخرجها عن نطاق ما تسمح به قدرات البشر، لكنني أرى غيري
يحقق ما يظنه الجميع فوق قدرات البشر، فماذا تسمي هذا ؟

قال لي أحدهم ذات مرة أن الأمر ليس بمشكلة، فلكل منا نقائص
و نواقص، و لولا ذا لما شرع الزواج، فبه يستكمل المرء شيئاً
كثيراً مما يفتقده، لكن الأمر ليس أني لا أجد تلك التي يمكنها أن

تَمَلُّ تلك الفجوات، بل لست أظني أجد واحدة ترضى بشخص مهترئ هذا الاهتراء ..

ربما تتهمني بالمبالغة، و هي صفة لست أنكرها، و لست أنكر - و لا يمكنني - أنما أنقذتني عدة مرات، رغم أنما أوقعتني مرات أخر، و تبدو ورطتي هذه أطولهم و أكبرهم ..

أعرف أنك ستتهمني بالمبالغة لأنني فعلت هذا قبلك .. ربما لست الصورة التي يرسمها في مخيلاتهم، لكنني أراهنُ دومًا على جمال الباطن .. لست أريد جمالاً في المظهر و فراغاً في الجوهر، و لئن كنت قد حرمت شيئاً من جمال المظهر، فإنني أدرك تماماً أن الله منحني من الجوهر ما أعيش به راضياً عما فقدت ..

لكنني لا يمكن أن أنكر في الوقت ذاته أنه ما من اثنان ينجذبان إلا و كان المظهر عاملاً مهماً .. أولئك اللائي و الذين

يستطيعون التضحية بالمظهر من أجل الجوهر هم قلة .. قلة
مندسة لم أقابل منهم إلا واحداً و واحدة، و هي نسبة لست
أراها كبيرة مقارنة بعدد من أعرف .. الأمر ليس مظهرًا
فحسب، فأنا أخلع كلمة المظهر هذه على كل ما يشمله كياني ..
ملامح، و تصرفات، و تعبيرات و اصطلاحات .. أرى دومًا
رصيدي صفرًا من كل هذا، أو هو يقترب منه ..

أدرك كل هذا و أدرك أنني أثقل على نفسي .. فهذا خلق الله، و
هو - حتمًا - أعدل العادلين، لكن المشكلة ليست مشكلة مجردة
تتمثل مظاهرها في شرح - بسيطًا كان أم كبيرًا .. المشكلة
تكنم في صاحب هذا المظهر الذي يضعه كجبل من جرانيت
أمام أي فرصة، أراها هو أم رآها له غيره، أو ارتآها الطرف
المقابل ..

أنت تدرك أكثر من غيرك أن هذه الرسالة تأخرت أشهر، و أنني قد انتويت كتابتها منذ أن ودعت صديقي السابع، لكنني تأخرت .. ربما يضاف تردددي لجملة ما يعوق خطوة هامة كهذه، و هو ما أعزوه في النهاية إلى شعوري العام بالاهتراء الذي أسلفت ذكره ..

حسنًا .. بعد كل هذا يجب أن اسأل نفسي، و أظن أنك مثلي: و ماذا بعد؟ هل توصلت إلى شيء بعد كل هذا؟! الحق، و الحق أقول، إنني لم أكتب شيئًا من هذا كي أصل لأي شيء .. رغم إدعائي في البداية أنني أريد أن أضع يدي على السبب، كي أكتشف الوسيلة .. من الممكن أن تسمي ما سبق "تفريغ شحنات"، مثلما يحدث عندما تبرق السماء .. ماذا أريد من ورائه؟ غالبًا لا شيء ..

أكرر أسفي إذ سببت لك صدامًا بلا داع، و بلا هدف، لكن
الأكيد أنك فرغت شيئاً مما بداخلك؛ يا عزيزي ..

طبيب القمر

تدور طائفة لا بأس بها من القصص الخيالية التي تصنف تحت ما يسمى في الإنجليزية **Fantasy** في فلك مجموعة محددة من الأفكار، تنحصر غالبًا في الأميرة التي تعاديتها ساحرة شريرة، تلقي عليها بصنوف السحر و التعاويذ، فتلقيا في غيابات النوم العميق الأبدى اللانهاى، أو تقلبها ضفدعًا أو قطة أو ما شاءت من بني الحيوان، حتى يأتيها الموعود، الذي ينقذها مما هي فيه، و يزيل عنها سحر السحرة و تعاويذ المشعبدين، ثم تكون له و يكون لها، و تنتهي القصة بالبنين و البنات ..

قصتنا هذه المرة ليست كأولئك، رغم أنها تنتمي للمناخ نفسه، من قصور و قلاع، و ملوك و ملكات، و أمراء و أميرات، و حاشية متخمة بالنبلاء الطفيلين الذين يعيشون مع الملك و على الملك، و يتنفسون نفاقه و رياءه، و قد كان هو منهم ..

طفيلي كما ينبغي له أن يكون .. برغوث بشري متكامل الصفات، يتكئ على قدر هائل من الثقة بالنفس التي تكاد تصل إلى حد الانفجار، و يستند إلى قدر مهول من سعة الحيلة و الخبث جعلته يتفلسف من مكائد دُبرت له بعدد شعر رأسه، الذي شاب بعضه لفرط ما رأى، لكنه رأى بالإضافة لما شبيبه ما نعمه، فضل على ما هو فيه ..

و ما كان فيه أنه كان يشي بالكل، فالكل لديه سواء تحت حذائه، يصعد على أجسادهم و يتقرب بهم إلى الملك، الذي ازدادت محبته له رغم بغض الجميع له، و ارتفعت مكانته عنده

رغم احتقار الجميع له، لكنه كان ينظر إليهم أجمعين كهباء
منثور، طالما أنه قد ضمن العرش و ما فيه و من فيه ..

أما من في العرش فكان ملكاً ذا سلطان و هيبة، ثم أصبح ذا
شيطان و خيبة، منذ أن أسلم أذنه إلى كل همار بسوء مشاء بين
الناس بما يضر و لا ينفع، و يؤخر و لا يقدم، و يهدم و لا يبني..

أراك تتساءل أين الطبيب فيما يحدث؛ فالجو ممتليء بمؤامرات
الحكم و السلطة، و طالبو الجاه و المنصب من الوشاة و المنافقين،
و أين جو الخيال و الفانتازيا وسط رائحة الدم و السلطة التي
تنتشر بين الكلمات .. أراك تتساءل، و هكذا كانت الأميرة في
تلك اللحظة الفارقة في حياتها ..

كانت و أخوها على غير جبلة الوالد و الوالدة .. طيفان رقيقان
كأما اقتطعا من قوس قزح أو ندى الصباح، حاملان كفرسان

المائدة المستديرة، ممتلآن بأمال عريضة تقاطعت - لسوء حظهما
- مع آمال البرغوث البشري، فانقلب قوس قزح ظلمة، و
اختفى ندى الصباح من على أوراق الشجر، و سقطت الأميرة
طريحة الفراش ..

و كانت آمال البرغوث أن يعلو بناؤه أكثر و أكثر، و لم يكن له
أن يفعل هذا إلا إذا وضع جسداً بمرتلة جسد الأميرة تحت قدميه،
و لم يكن جلاله الملك ليرفض طلباً كهذا لصفيه و نديمه ..

يقول الناس إن آلام النفس أقسى من آلام الجسد ألف مرة، لكن
النفس ليست كياناً مسطحاً، بل هي كتلة متجانسة متنافرة من
المشاعر و الانفعالات، مليئة بالتضاريس و الهضاب و المرتفعات،
و الجرح فيها لا يلتئم بندبة خطية من نسيج ليفي ميت فاقد لكل
معاني الحياة، بل جرحها يلتئم - إن التأم - بجرح آخر أشد
غوراً و أعمق سبيلاً، فلا سبيل إلى التام و لا طريق إلى نسيان ..

فليؤتى بكل طيب .. فليؤتى بكل نابغة في الطب .. فليؤتى بكل
عبقري خبير تجرع صنوف العلاج و طرق التطيب فليطيبها ..
فليؤتى بأي طيب كان .. آتوني بهم أو لأقتلهم أجمعين ..

و لا يجيب نداء الملك الملتاع الغاضب سوى طيب واحد ..

طيب واحد وحيد أتى من آخر بقعة في المملكة، و الأميرة على
فراش الموت، نفس يخرج في هواء الأرض و نفس يصعد إلى جو
السماء .. طيب واحد وحيد في مقبل عمره يحمل في قلبه عزم
الشباب و حكمة الشيوخ أتى يقبل المهمة التي تنحى عنها
الجميع ..

إذا رأيته شعرت أنه عصا المكنسة .. نحيف حتى تظن أنه غير
موجود، بأنف رفيع حاد كالموسى و عينان حادتان صافيتان
تخترقانك اختراقاً .. وجه حاد القسماط طيبها تشعر إذا نظرت

إليه بهيبة، لكنها هيبة ترتاح إليها و تطمئن لصاحبها، و تفتح قلبك له على مصراعيه، تمامًا كما فعلت الأميرة ..

لم يكن يعرف شيئاً عن صراعات القصر و خبايا الحكم و دسائس السلطان، لكنه أدرك بحدسه أن الجو مشحون بطاقة سلبية رهيبة كاتمة للأنفاس مطبقة على الأنفس .. لم يكن غريباً بالنسبة له أن تسقط الأميرة في مثل هذا الجو المشحون، فعدم سقوطها هو العجب ذاته ..

جس نبضها في هدوء و تفحصها في سرعة الخبير الذي يعرف أين يضع يده و متى يرفعها .. نظر إلى والديها في صمت ثم حول بصره إلى أخيها و أشار إليه دون كلام أن يبقى و أن يخرج جلالته و جلالتها .. الملك الغاضب المتناع لم يعتد هذه المعاملة الأمرة، لكنه انصاع في آلية غريبة، مدفوعاً - ربما - بسحر شخصيته القوية، و انصرف ..

قال الطبيب إن أخته كجسد ليس بها شيء، لكن نفسها مهشمة ألف قطعة .. قال الطبيب إنه يريد أن يحكي، فروى، و سأله فأجاب .. للم أدواته و أغلق حقيته و طلب أن يتركوه يتجول في القصر، ففي القصر علاج الأميرة مما فيها ..

فتحت له الأبواب و ترك له الجبل على الغارب .. تجول و تفحص و رأى و سمع، ثم في النهاية أعلن أن شفاء الأميرة اليوم.. اليوم عند غروب الشمس تقوم الأميرة من مرقدها ..

جلس إلى الأميرة و أمسك ينها برقة كمن يمك بلوراً يخشى عليه الكسر .. نظرت إليه تلك النظرة الخاوية التي تملأ عينيها منذ عدة أسابيع، فسكب عليها الشيء الكثير مما بداخله، فتنفست بعمق .. أضاء عينيها بريق غاب عنها منذ أسابيع، و انفرجت شفتاها بشيء لم تنطقه، لكنه سمعه يدوي في أذنه .. أطبق على

يذاها بيده الأخرى و اقترب منها في صمت ثم دعاها للنهوض
فنهضت ..

كان الجمع ينتظر في قاعة العرش .. الملك و الملكة و الأمير و
البرغوث البشري، الذي صار كالبرغوث حقاً لا يفارق سيده ..
دخل عليهم القاعة تتأبط يمناه .. تسير الهوينى لكنها تسير ثابتة ..
نظرة عينيها تقول الكثير لكن من يفهم ما تقوله قليلون، و
شفتاها المزمومتان تصرخان بجبال من الكلمات لكن الصم أكثر
ممن يسمعون ..

وقفنا في منتصف القاعة قبالة الملك الذي أجمته الدهشة، كما
أجمت زوجته، فيما بدت البغضاء من عيني البرغوث تكاد تحرق
الأرض و من عليها فتذرهما قاعاً صفصفاً، لا ترى فيها عوجاً و
لا أمّتا .. تركها و تقدم منفرداً و انحنى إجلالاً ثم تحدث ..

قال إن الأميرة لم تمرض بجسدها، بل إن روحها تمزقت كل ممزق .. قال إنه لا يعجب لهذا بقدر ما يعجب أنه تأخر جداً .. كل شيء في القصر يدعو للسقم و المرض، و كل شر يدعو للهلاك و العدم .. قال إن الملك يخطيء كل يوم ألف مرة إذ يصاحب مثل هذه الطفيليات و البراغيث المسماة بالنبلأ و الصفوة، و أنهم ليسوا نبلاء و ليسوا صفوة، بل مجموعة من المتفعين الذين اعتادوا العيش على الملك، فلا هم نفعوه، و لا هو أمن شرهم ..

قال إن القصر امتلأ جوه برغبات مريضة في الوصول لهذا العرش.. مؤامرات تحاك بليل و بنهار، و أقنعة تغطي كل الوجوه، و خلف الوجوه أقنعة أخرى تغطي نفوساً نتنة .. قال إن الأميرة لم تسقط صريعة المرض لأن ذا البرغوث أرادها لنفسه، بل كانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير ..

قال إن القصر تمايز إلى نور و ظلمة .. ظلمة تأكل من النور يوماً
تلو الآخر، و نور يتزوي انزواءً .. قال و قال و قال، و الملك
يستمع مبهوتاً كأنه لم يستمع لأحد من قبل، و كأنه يصطدم
بفنون القول لأول مرة .. بهت كأنما يساق إلى موت، و اندفع
من خلفه البرغوث يصرخ ..

قال إن هذا الطبيب يهذي و يخرف، و إنه يطمع لنفسه في ملك
عريض إذ يحاول أن يكسب الملك إلى صفه بإن يوهمه أنه الناصح
الأمين، و إنه يتقرب إلى الأميرة بحجة علاجها، لكن مراده من
وراء هذا خبيث .. قال الطبيب أنه يمثل هذا ابتلع الظلام كل
نور في القصر .. مثل هذا من البشر لا يجد ما يمشي به بين الناس
إلا الوشاية و خبيث القول و العمل، و أن أذن الملك ملأت قلبه
و عقله خبثاً و زوراً عندما أنفذت كلام هذا البرغوث إليه ..

قال إن المُلك يفسد إذا صار في مهب ريح الوشاية السَّموم ..
قال إن الأميرة ليست مريضة، بل هي الوحيدة ذات الصحة و
العافية، و أن من سواها في هذا القصر مرضى حتى الثمالة .. قال
و قال و قال، و الملك و الملكة و الأمير يستمعون في صمت، و
برغوث بني البشر يرغي و يزيد أن اقتلوا هذا الأفاق المنافق
الكذاب، و للمرة الأولى ينظر إليه الملك باحتقار ..

قال الطبيب و روى مما رأي .. هل كان ذا الذي أرسلته إلى
أقاصي الأرض بعيداً عن أهله و أحبابه، جلالتك، لجرم ارتكبه،
أم لوشاية من واش لم تتكلف حتى عناء التحقق منها ؟ هل ذا
الذي أقطعته أرضاً يموت الفرس الأدهم تبعاً قبل أن يبلغ منتهاها،
جلالتك، يستحقها، أم لحو كلام و معسول حديث نافقك به
أقطعتها إياه ؟ هل ذا الذي إلى يمينك يستحق مترلته، أم وصلها
على أجساد العباد ؟ هل ترى، جلالتك، أنك حقاً الملك، أم أنك
سلّمت المُلك إلى هؤلاء ؟

ثم قام الملك عن عرشه، و أشار إلى الحرس أن اطحنوا هذا
البرغوث طحنًا فلا تذرُوا منه لحمًا و لا عظمًا .. قال للطبيب أن
له أن يسأله ما يشاء، فقد أراه ما لم يكن يرى، و أسمع ما لم
يكن يسمع، فسأله الرحيل .. أمسكت الأميرة بيده فزعة جزعة
.. قالت إنه كمن يمنحها هواء الدنيا ثم يكممها بيديه، فكيف
يرحل .. قال إن هواء الدنيا لا يمنحه أحد لأحد، و هو لم يفعل
شيئًا إلا أنه أزاح الغطاء، فلها أن تملأ صدرها كما شاءت .. هو
طبيب يداوي، لكن ما بعد الدواء هو شأنها هي فحسب ..

قال للملك إن الطفيليات تتكاثر في الظلمة، و تنمو على العطايا
و المنح، و هي في كل الأحوال لا فائدة من ورائها، و لا نفع
منها يرتجى .. قال إنه قد أتم ما أراد و ما أريد، و إنه لا مستقر
له ها هنا بعد الآن ..

سار مبتعداً تحوطه غلالة خفيفة من ضباب المساء، تتابعه الأميرة
من نافذتها، و قد خيل إليها أن نوراً ينبعث منه، ثم خيل إليها
كأنما استحال يمامة طارت مبتعدة ثم استحالت نقطة نور في
السماء، لكن لم يتسن لها أن تعرف الحقيقة قط ..

مساحة إعلانية

توفر دار الوراق للنشر الإلكتروني فرصة متميزة للمعلنين الراغبين في وصول إعلاناتهم إلى شريحة واسعة من الجمهور، و ذلك بتوفير مساحات إعلانية داخل الكتب التي تنشرها.

للاستعلام عن تفاصيل الحجز و الأسعار، يمكنك مراسلتنا عبر البريد الإلكتروني، أو عبر صفحتنا الرسمية على الفيس بوك.



دار الوراق للنشر الإلكتروني
www.daralwarraq.com

info@daralwarraq.com
fb.com/dar.alwarraq
[@DarAlwarraq](https://twitter.com/DarAlwarraq)

قطع خيار

في طفولتي المبكرة كانت تملكني رغبة شريرة .. كنت أرغب أن أتحكم في عقول البشر .. أقرأها، أعبث بها، و أتجول فيها كيف شئت فاعلاً بها ما شئت .. في البداية كنت أدرس الأمر من منطلق خوارقي ميتافيزيقي بحت، ثم مع مرور الوقت بدأت أدرك أن هناك فرعاً من الطب اسمه جراحة المخ و الأعصاب، و أن طبيباً إسبانياً أجرى أبحاثاً كثيرة عن التحكم الفائق بالدماغ عن طريق شرائح تُزرع في أدمغة الثيران فينقلب الثور الهائج حملاً وديعاً بضغطة زر، و يثور الثور الهادئ فيقلب الدنيا رأساً على عقب بضغطة زر.

ثم تمر الأيام، و ألتحق بكلية الطب، و إذا بي أرى أن الأمر على غير ما كنت أظن، و أن تلك الصورة الوردية - الطبيب الإسباني و تحكمه الفائق - التي كنت أظنها تمثل جراحة المخ و الأعصاب هي لا شيء، لكن التحكم في المشاعر و الأحاسيس و الذكريات ظل يشغل بالي.

و بينما أنا في غمرة كفري بالعمل كجراح للمخ و الأعصاب جذبتني جراحة الصدر و القلب، و التعامل مع منبع الأحاسيس البشرية مباشرة. و رغم أن فكرة أن أحاسيس البشر منبعها القلب لا الفص الجبهي في الدماغ هي فكرة رومانسية تصلح للروايات و القصص، إلا أن القلب في حد ذاته مجرداً من كل ارتباطات خلب لي .. شيء ما في هذه العضلة الجوفاء كان يجذبني إليه، لكن ليس بما يكفي ليحول دفتي من طبيب أمراض دم إلى جراح للقلب و الصدر.

و رغم ابتعادي عملياً عن المجالين الذين رأيت فيهما تحقيقاً لحلم طفولتي، إلا أنني ظللت نظرياً مرتبطاً بهما، أتابع الحديد فيهما عن كثب، كأنني متخصص لا هاو. كانت أكثر الأشياء التي لفتت نظري هي ذلك البحث الذي أجراه أحدهم - و لست أذكر شيئاً من تفاصيل البحث - على من نقلوا إليهم قلوباً من آخرين.. تحدثوا عن تغيرات سلوكية عميقة، و هو الأمر الذي دفعني للتساؤل من جديد: هل هذه العضلة الجوفاء ذات دور في مشاعرنا، على عكس ما كنا نظنه من إن هذا من سخافات الشعراء و الأدباء؟

لم يتسن لي أن أحصل على الإجابة قط، لكنني حصلت على حادثة جعلت الإجابة صعبة المنال أكثر و أكثر ..

كان الوقت شتاء، و الطرق كلها زلقة، و الوقت يدهمني و يدفعني دفعاً كي أهول كأنني في السعي بين الصفا و المروءة، و

هذا عين المطلوب .. لا أدري كيف بدأ الأمر، لكنني أدرك كيف أنتهى؛ نزيلاً في المستشفى الألماني في قسم الطوارئ، ثم نزيلاً بالعناية المركزة حتى استعدت القدرة على إدراك الموجودات بعد أربعة أسابيع. ماذا حدث؟ صاعقة كهربية !

انزلاقة بسيطة اصطدمت معها بعامود إنارة لم يدخر عامل الكهرباء وسعاً حتى يجعل منه سفاحاً قديراً، فقامت أسلاك الكهرباء الرابضة بداخله - نصفها فقط - بالقيام بمهتها التي لا تعرف سواها؛ أن تمرر التيار الكهربائي.

توقف قلبي للحظات حتى استطاعوا إنعاشه مرة أخرى، لكنه عاد إلى الحياة منهكاً مستهلكاً مشوياً - إن جاز التعبير - بهذا التيار الكاسح، و هو الأمر الذي وضعني على بداية الطريق الذي ينتهي بغرفة زرع القلب؛ فالعضلة لم تعد كفؤة أن تقوم سوى بثلاث ما كانت تقوم به، أما الثلثان فالأدوية تساعدنا فيهما، و هي

مساعدة ليست بالضخمة، لكنها تؤجل العملية إلى وقت نجد فيها قلبًا يحل محل قلبي.

التفاصيل ما بين تلك اللحظة حتى خروجي من غرفة العمليات بقلب آخر لا تمك في شيء .. أنا نفسي أجاهد كي أنساها .. الحق أنني أجاهد كي أنساها لأتذكر لحظات أخرى لست أعرف كيف نسيتهما ..

لا، ليس نسيانًا عاديًا .. كأنما تبخرت .. الأمر ليس فقدانًا للذاكرة، بل هو فقدان للمشاعر .. لست أدري كيف أصفه، لكنني فقدت كل ما أشعر به تجاه كل الناس .. الأمر أشبه بأن تنظر إلى الماء فلا تعرف ماذا تفعل بهذا السائل تحديدًا ؟ .. بديهيات كهذه فقدتها ..

أنظر إلى أمي فلا أعرف كيف من المفترض أن أتصرف حيالها ؟
هل كنت أحبها أم كنت جافياً تجاهها ؟ أنا أذكر كل حرف
قلناه سوياً، كل موقف، كل حركة و كل همسة، لكنني أشعر
بفراغ عاطفي .. إقفار تام .. حتى بعد أن استعدت شريط
ذكرياتي معها، و الذي استنتجت منه أنني كنت أحبها حد
التقديس، لم استطع أن أكون "عاطفة" تجاهها ..

خطيبيتي ؟ لقد كانت تلك هي الطامة الكبرى .. لم تفهم الأمر
إلا أنني "لا أرغب"، بينما الحقيقة هي أنني "لا أستطيع" .. كان
الأمر صعباً عليها، و لست ألومها، فهو عسير عليّ أنا، و أنا
صاحب الأمر ..

جلست إلى نفسي طويلاً أتأمل الأمر برمته .. ماذا حدث ؟ هل
للأمر علاقة مباشرة بذلك القلب الجديد الذي ينبض بين أضلعي،
أم أن التيار الكهربائي الذي مر بجسدي غير شيئاً في أعماق عقلي،

و أعدد ترتيب كيمياء محي ؟ هل يكون الأمر كذلك، لكنني لسبب ما أربط بينه و بين زراعة القلب لبحثي السابق عن مكنم المشاعر فينا ؟ هل يكون الأمر فيزيائياً بحتاً، و ليس له أبعاد حوارية كما أظن ؟

طرحت الأمر جانباً، إذ أدركت أنني لن أصل لنتيجة محددة، و قررت أن أتعامل مع الأمر الواقع .. ترى ما الحكمة من أن أعود إلى نقطة الصفر، فأفقد مشاعري كلها، بل أفقد القدرة على صنع المزيد منها ؟ هل الأمر رسالة أنني كنت أكون المشاعر و الأحاسيس الخاطئة فيما سبق ؟ أهو عقاب ما ؟ أم هي دعوة أن أبدأ من جديد ؟ و كيف أبدأ أصلاً و أنا لا أستطيع ؟

اكتشفت أنني خرجت من حيرة صغرى إلى حيرة أكبر، و أن الأمر ربما ليس مجرد "فقدان" للمشاعر، بل ما هو أكبر .. فقدان للحياة بأكملها .. كيف أحيأ و أنا لا أحب الحياة ؟ كيف أحيأ

و أنا لا أهاب الموت ؟ كيف أحيأ و أنا لا أشعر بشيء، و لا أستطيع أن أشعر بشيء ؟ كيف ؟

أدركت للحظة أن مشاعر سلبية، كالألم و الخوف و الغضب صارت عزيزة عليّ جداً، و صرت أتمنى لو يخفق قلبي بأي منها رغم ما بها من طاقة سلبية .. أدركت لحظتها كيف أن البعيد عن اليد قريب إلى القلب، و كيف أن أبغض الأشياء إلينا قد تكون أسمى أمانينا في لحظة من اللحظات، لأنه لا شيء مطلق في هذه الحياة ..

تأملت طويلاً في ما كان و ما هو كائن، ثم أدركت - أو ربما توهمت - رمزية الأمر .. قلب جديد يضمن لك الحياة، لكنه يسلبها منك، و قلب قديم مهترئ يسلب منك الحياة، لكنه يمنحك إياها .. هل هي الحياة هكذا ؟ أن تختار بين أن تحيا في

رغد فاطر الحس، أو شظف متقد المشاعر؟ هل هي أن تختار بين
هناء بلا طعم، أو طعم بلا هناء؟

تأملت طويلاً، لكنني لم أصل إلى شيء، و أدركت في لحظة فارقة
أن الحياة كلُّ متناقض، بارد متبلد لا إحساس فيه، لكننا لا نشعر
بذلك، بل - لو شئنا الدقة - نخفي إحساسنا بهذه الحقيقة بما
نضيفه على أيامنا من مشاعر و أحاسيس، كملح نضيفه إليها
كي تصير أطيب طعمًا، أو كي نتوهم أنها صارت أطيب طعمًا،
و أدركت أنني بذلك القلب البارد صرت أقرب إليها من أي
وقت مضى، فأنا - أيضًا - لم أعد أشعر ..

3 هيدونوفوبيا

كلما فكر في تلك اللحظة التي استجمع فيها قراره أن يأتي هنا قال إنها و لا شك أشد لحظات حياته إغراقاً في الجنون .. يقول أشدها إغراقاً في الجنون، و ليس "لحظة مجنونة" لأن حياته تترنح ما بين الجنون المطبق و فقدان الاتزان العقلي، و في ترنحه هذا يجاهد كي يظل مترنحاً فحسب، لكنه كثيراً ما يفشل، بل ربما الأدق أن نقول قليلاً ما ينجح، و لو كان الأمر غير ذلك لما أتى ها هنا ..

³ هيدونوفوبيا Hedonophobia: باللاتينية؛ الخوف المرضي من السعادة و الفرح.

عندما خرج من غرفة الطبيب، بعد تمدد على ذلك "الشيزلونج" لثلاث ساعات متصلة، أخذ يفكر فيما قاله .. مصيبته الكبرى أنه يدرك مِمَّ يعاني، فهو على حد تعبير الطبيب "لم يفقد بصيرته"، لكنه في الوقت ذاته لا يشعر حيال مشكلته هذه بأي رغبة في حلها .. قال له الطبيب إن لديه مزيجًا مزعجًا من الهيدونوفوبيا و المازوخية .. لم يقابل بعد الطبيب النفسي الذي لا يصدمه بمصطلح أو أكثر، و البعض تأخذه حماسة العلم و التشخيص فتتناثر الأصول اللاتينية للمصطلحات التي يقولها من فيه، حتى بات يشعر أنه "ملبوس" من ملك الجان الأزرق ..

قال له الطبيب إنه يعاني خوفًا مرضيًا من السعادة و الفرح، و إنه يرى هذا على نفسه في صورة ذلك الاكتئاب المزمّن الذي يلازمه و الذي تزداد وطأته مع شعوره المستمر بالذنب، و الذي يرسخ في نفسه عدم استحقاقه أن يكون سعيدًا، ما يكمل دائرة مفرغة

مقيفة، يضع اللمسة النهائية عليها بذلك الشعور المرضي بالتلذذ
بالألم النفسي الذي يحدثه كل ما سبق ..

استلقى على سريريه متمدداً، و كأن ثلاث ساعات من الاسترخاء
على "الشيزلونج" لم تكفه .. الحق أنها لم تكفه، فما بداخله من
توتر كفيل بتفتيته إلى ما دون الذرات .. تمدد و أخذ يفكر فيما
سمعه ..

أعادته كلمات الطبيب إلى الخلف .. منذ ست سنوات كان
حفل تخرجه .. اللحظة التي انتظرها منذ التحاقه بالكلية، و عمل
من أجلها حتى تساقطت مقدمة شعره و أبيضت بعض شعرات
منه .. كان حقيقاً به أن يكون أسعد الحاضرين، لكنه لم يكن
كذلك .. لم يكن الأمر وليد اللحظة بكل تأكيد، و الأغلب أنه
كان يدق بابه على استحياء قبل هذا بفترة طويلة، و لم يخرج إلى
النور إلا في هذه اللحظة ..

ما السبب، ليس يدري، لكن ما يدركه جيداً أن شعوراً عاماً بالحزن و بعدم الاستحقاق اجتاحه يومها .. استرجع سنواته الأربع في الكلية في أقل من دقيقة، و العجيب أنه لم يذكر منها إلا سقطاته .. سقطات متنوعة ما بين أقصى اليمين و أقصى اليسار، لكنها جميعاً كانت حاضرة بعنف لحظة تذكره، و خرج من تلك الدقيقة العاصفة يملؤه شعور قوي أنه قد قضى أربع سنوات من الفشل المقنع، المتخفي وراء ستار الإنجاز الأكاديمي الزائف الذي لا يغني و لا يضمن من جوع، و أن مركزه الحقيقي أقل مما سيكرم من أجله بكثير ..

الأعجب أنه استشعر راحة عجيبة بعد هذا الجلد، رغم شعوره في الوقت ذاته أن تلك الأفكار ليست من المنطق في شيء، و أنها بشكل أو بآخر ضلالات و أوهام و أضغاث أحلام، إلا أن هذا لم يمنعه في النهاية أن يفكر في الأمر بجدية .. حاول أن يرتدي

ثوب المنطق للحظات يرى خلالها ما يشعر، و خُلص إلى النتيجة نفسها .. هو حقاً لا يستحق ..

ثوب المنطق الذي ارتداه أراه من سوءاته الكثير، و أهال عليه من تراب الماضي ما غبّر به الحاضر و المستقبل .. الدقيقة نفسها التي رأى فيها سقطات الدراسة رأى خلالها لحظات متفرقات من الماضي .. أصابته الدهشة، و ليس كذباً لو قلنا إنها ألجمت لسانه .. لم يكن يدرك أن حياته مليئة بكل هذه العثرات، أو لنكن أدق؛ لم يكن يريد أن يدرك أن حياته مليئة بكل هذه العثرات .. في لحظة واحدة سكب دلوّاً من الماء البارد على رأسه ظل يتجنبه طوال تلك السنوات ..

يتذكر الآن تلك اللحظة و يفكر .. هل كان يفكر حقاً بمنطق أم بمنطق اللامنطق ؟ .. هل كان الأمر حقاً أنه لا يستحق، أم أنه يريد لنفسه ألا يستحق ؟ و إن كانت الأولى فلماذا، و إن كانت

الثانية فلأبي سبب ؟ هل هي الأولى لأن هذه هي حقيقته، أم هي الثانية لأنه اعتاد أن يتهم نفسه منذ صغره بكل نقيصة أو وزر ؟ و لماذا اعتاد هذا، و لأي سبب كانت بداية هذه السلسلة المدمرة من المشاعر السلبية التي أورثته هم الذهاب للأطباء و تناول الأدوية دواء تلو دواء ؟

شعر أنه سيدخل من جديد في دوامة لا نهائية لا طائل من ورائها، و لا فائدة ترتجى منها، سوى أن يضطر لزيادة جرعة الدواء الأخير الذي وصفه الطبيب، و هو الأمر الذي جعله يغير منحني تفكيره تماماً، و يسأل نفسه: ثم ماذا بعد ؟ ماذا بعد أن هلكت روحه على المذبح الذي أقامه منذ ست سنوات ؟ ماذا يريد ؟ و ماذا يتبغي ؟ و أي شيء ينتظر ؟! ماذا بعد أن وصم نفسه باللاجدارة و اللااستحقاق ؟

و كما كانت تلك اللحظة منذ سنوات ست، شعر في تأمله الصامت هذا متمددًا على سريريه كأن كل شيء يتكشف أمامه .. كما أغرقته تلك اللحظة البعيدة في بحر متلاطم من الحزن، غمره شعور جارف بالتفهم و التبصر أضاء له ما أظلمته اللحظة الأولى .. الآن يدرك شيئاً مما يحدث ..

أدرك أنه كان ضيق الأفق إلى حد مزر .. مَنْ على وجه هذه الأرض له الحق أن يقول إنه يستحق ؟ و على أي شيء يبني استحقاقه هذا ؟ ماذا فعل كي يشار إليه بالبنان، أو ترتفع باسمه الأصوات، أو يُخلد ذكره في فم الزمان ليردد أبداً ؟

ثم أي شيء هذا الذي يستحقه ؟ أي شيء هذا الذي يقتل نفسه كمدًا و غمًا من أجله ؟ أي شيء هذا الذي يظن أنه الغاية و المُنى ؟ هباء في هباء، و هشيم تذروه الرياح ..

شعر للحظة كأنما كان ميثاً ثم عاد من حيث كان، و للمرة الأولى يشعر أن هذه الأشرطة التي سطت على سطح مكتبه لا فائدة لها، و الحق أنهما كانت كذلك .. جراح الروح قد تطببها الأدوية، لكنها لن تلتئم بما .. هي فقط تزيل الشروخ الخارجية الظاهرة للعيان، لكن ما بالقلب يظل بالقلب حتى يصفو صاحب القلب أو يموت بما فيه ..

قام من مرقدده كأنما البعث، و تمطأ كأنما ينفذ عن نفسه تراب قبره النفسي، ثم خرج إلى الشرفة يتنسم شيئاً من هواء الليل علّه يصفو، و شعر للمرة الأولى أن الليل ليس موطن الأحزان و باعثها كما كان يراه فيما مضى ..

وردة الدنيا الناعمة

كان يقول لها دومًا إن لها اسمًا غريبًا، و كان يقول إن مبعث غرابته شيثان؛ اسمها ذاته، و اقتران هذا الاسم باسم أبيها الذي يغتال شاعرية اسمها في مقتل.. كان يخبرها كلما أراد أن يثير نفسها الطفلة أن "جيرمين" هو اسم لا معنى له، و لربما كان يعني في السنسكريتية القديمة كذا و كذا، و ينهال عليها بأوصاف تجعلها تدق الأرض مغتظة تنهال عما يفعل، لكنه يستمر مستمتعًا بتلك الروح العذبة النقية التي تجتاحها ..

كان يقول هذا، لكنه كان يشعر أنه لا يعنيه حقاً، أو حتى مزاحاً، فرغم عدم إدراكه لمعنى اسمها، إلا أنه كان يشعر دائماً أنه متسق مع شخصيتها، و أنه يعني كل تفصيلاً فيها، و كل همسة تهمس بها ..

عندما قال أحمد مكي على لسان "حزلقوم" أن دنيا سمير غانم - جيرمين - لم تلحق بجيهان، و لم تلحق بنرمين، جالت بخاطره فكرة ابتسم لها في البداية، ثم اتسعت ابتسامته عندما استقرت و استوت .. جيهان تعني الدنيا بالفارسية، و نرمين تعني الوردة الناعمة بالتركية، فلربما كان جيرمين هي مزيج من الاثنين .. وردة الدنيا الناعمة ..

وردة الدنيا الناعمة، التي تذكره دائماً أن هذه الدنيا ليست شظف العيش و مرارة الكد فحسب، بل فيها من المتعة ما يجعلها مكاناً صالحاً للحياة .. أدرك لحظتها لم كان شعوره الدائم أن

اسمها متسق مع كل شيء فيها، و أن اسمها يعينها شكلاً و موضوعاً ..

لم تكن ناعمة بتلك الصورة التي تتقافز إلى الأذهان كلما ذكرت تلك الكلمة، حتى يظن المرء أنها صارت مرادفاً للميوعة و الخلاعة، بل كان فيها شيء من القوة الناعمة إن صح التعبير .. شيء من الخشونة و الرجولة و قد امتزجا بذلك الدلال المحب إلى النفس، و شيء من رجاحة العقل التي تختلط بطفولية تجعلها فريدة من نوعها؛ نضج و رعونة في آن ..

كان كلما شعر أن الدنيا تكاد تقصم ظهره، و أن صدره يضيق فلا يتسع لأنفاسه تذكرها، و تذكر همسها في أذنه أن الدنيا لا تضيق إلا لتفرج، و لا تفرج إلا لتضيق، و أن من لا يدرك هذا كمن لا يدرك أن الشمس تشرق في الصباح ..

بعدها استنبط تفسيراً لاسمها - و قد طارت سعادة عندما سمعته
منه، كأنما هي طفلة جيء لها بملابس العيد - أخذ يفكر فيه ملياً؛
وردة الدنيا الناعمة .. كان - للمفارقة - يشكو حساسية
مرضية مفرطة تجاه الورد البلدي، ما جعله يضحك ملء فيه
عندما استقر ذلك المعنى في نفسه .. قدره ألقاه إلى وردة، هي
الوحيدة التي يمكن أن يموت لو لم يضممها إليه !

وردة الدنيا الناعمة، التي شعر عندما رآها للمرة الأولى أن شيئاً
ما يناديه أنها له، كانت تمثل رغم كل هذا عقبة في حياته .. كان
في كثير من الأحيان يشعر أنها تكبله عن فعل الكثير، لكنه رغم
هذا كان يستلذ بتلك الأغلال، و يسوق لنفسه المبررات لِمَ لَمْ
يفعل كذا، أو يلحق بكذا، أو يتغاضى عن كذا، ثم يكتشف مع
الوقت أن ما فعله - تحت تأثيرها - و ظن أنه قد أخطأ فيه هو
عين العقل، و هو ما يعيده لتلك الدائرة المفرغة التي لا تنتهي ..
هي، و هي من جديد، و هي إلى الأبد !

تنهد تنهيدة طويلة و هو يطوي آخر صفحة من سجل صورهما
معاً، و أرجع رأسه إلى الوراء يريها على ظهر المقعد، مطبقاً
جفنيه على دمعة فرت رغماً عنه، و أخذ يتمتم بالفاتحة في
خشوع ..

المؤلف في سطور

- عبدالرحمن جمال السيد دردير
- من مواليد الإسكندرية، 31 أغسطس 1989
- يدرس الطب بجامعة الإسكندرية، كطالب في الفرقة السادسة (السنة النهائية)، بكلية الطب البشري.
- مدون ينشر مقالاته على مدونة **فكرة و كيورد .. و حبة هياس** بشكل متقطع مع مجموعة من زملاء الدراسة.
- و بالإضافة إلى مقالات الرأي، فقد نشر فصولاً من بعض قصصه على مدونته، مثل "الذهب الأحمر"، "بلد الدخان" وغيرهم.
- نشر – إلكترونيًا – كتاب "على هامش الثورة – ذكريات ثورية". يمكنكم تحميله من **هنا**.
- مصمم جرافيكى هاو، و عاشق للخط العربي لا يزال يحبو في طريق دراسته و تعلمه، ينشر بعضًا من أعماله على **صفحته الشخصية** على فيس بوك .
- من مؤسسي راديو **ميري إف إم**، صوت طلبة كلية الطب جامعة الإسكندرية، في تجربة هي الأولى من نوعها، و دوره في الفريق الاختصاص بالأمر الفنية و التصميمات الجرافيكية، و هو أحد المسؤولين عن الحملات الدعائية للراديو، بالإضافة إلى أعمال الهندسة الإذاعية.
- مؤسس، و رئيس مجلس إدارة **دار الوراق للنشر الإلكتروني**.

رقم الإيداع
2012/2/2104

جميع الحقوق محفوظة